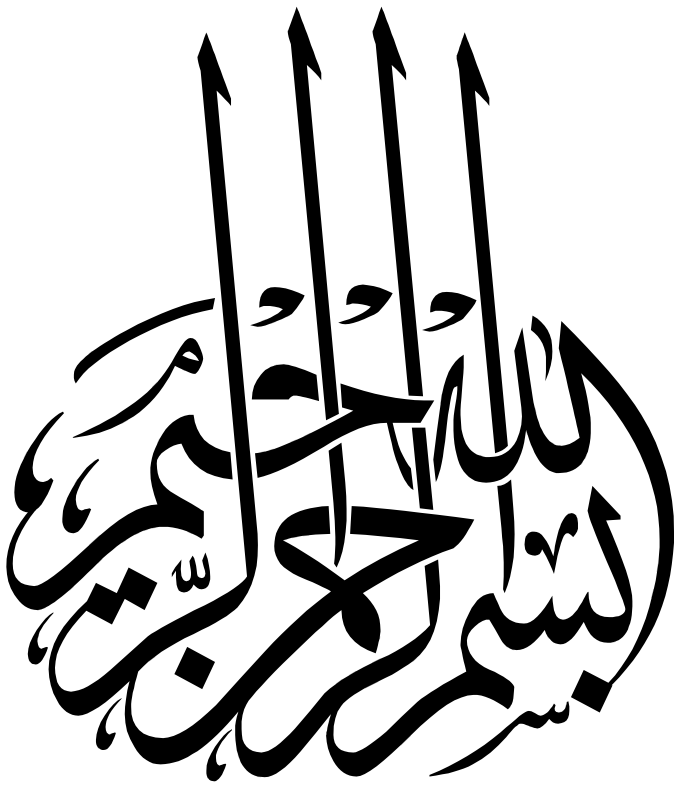
بسم الله الرحمن الرحيم

شرح كتاب

الفتن وأشراط الساعة

من صحيح مسلم

◈◈◈

باب في الآيات التي تكون قبل الساعة :

النار التي تخرج من اليمن

نجتمع اليوم في مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في هذا الدرس الذي أسأل الله -عز وجل- أن يبارك ما فيه وأن يبارك مَن فيه، نجتمع على كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث نقرأ من صحيح الإمام مسلم من كتاب الفتن.

وكنا نقرأ في الحديث الذي أخبر فيه النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة أنها لن تقوم حتى ترون عشر آيات؛ فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، والخسوفات الثلاث: خسفٍ بالمشرق، وخسفٍ بالمغرب، وخسفٍ بجزيرة العرب، قال: «وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

وقد يسَّر الله -عز وجل- لنا الكلام عن تسعٍ من الآيات المذكورة، وبقي علينا أن نتكلم في الآية العاشرة التي قال فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

تَقدَّم معنا -أيها الإخوة- أنّ هذه النار هي آخر الآيات الكبرى خروجًا، وأنها أوّل آيات حصول الساعة وانتهاء الدنيا، فليس بعدها من الدنيا شيء، فهي أول الآيات وهي آخر الآيات.

هي أول الآيات؛ باعتبار الآيات التي تدل على حصول القيامة وانتهاء الدنيا وليس بعدها شيء من الدنيا.

وهي آخر الآيات؛ باعتبار الآيات الكبرى التي ذُكِرَت معها، فهي آخر تلكم الآيات.

وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»، وفي رواية عند مسلم أيضًا: «تَخرُج من قُعْرة عدن» أو «قَعْرة عدن».

وقُعرة عدن: هي أقصى أرض عدن، وعَدَن: أرضٌ مشهورةٌ باليمن، معروفة إلى اليوم.

قال بعض أهل العلم: إنها سُميت عَدَنًا من العُدوان؛ وهو الإقامة، قالوا: لأنّ الملك "تُبَّع" -وكان من ملوك اليمن- كان يحبس فيها أصحاب الجرائم، فسُميَّت بـ: عدن.

وهذه النار الخارجة من اليمن: هي النار التي تَحشر الناس. وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «يُحشَر الناس على ثلاث طرائق: راغبين

راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتَحشُر بَقيَّتهم النار، تَقِيلُ معهم حيث قالوا، وتَبِيتُ معهم حيث باتوا، وتُصبِح معهم حيث أصبحوا، وتُمسي معهم حيث أمسوا»، وهذا في الصحيحين.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «على ثلاث طرائق» الطرائق: جمع طريق، وهي تُذكَّر وتُؤنَّث.

وقوله: «راغبين وراهبين» -وفي روايةٍ لمسلم: «راهبين» بغير الواو، يعني «راغبين راهبين» بدون الواو- فهذه هي الطريقة الأولى من الثلاث؛ أنهم يُحشرون راغبين راهبين.

وقوله: «واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير» هذه هي الطريقة الثانية.

وقوله: «وتَحشر بقيتهم النار»، قال الحافظ ابن حجر: هذه هي النار المذكورة في حديث حذيفة بن أَسيد -التي معنا-. قال: وعند مسلم في حديث فيه ذكر الآيات الكائنة قبل قيام الساعة كطلوع الشمس من مغربها ففيه: «وآخر ذلك نارٌ تخرج من قَعر عدن تُرحِّل الناس»، وفي رواية له: «تطرد الناس إلى محشرهم».

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «تقيل معهم حيث قالوا» فيه إشارة إلى أنّ النار تلازمهم ولا تتركهم في أي وقتٍ، فهي معهم في سائر الأوقات حتى تطردهم إلى محشرهم.

هذا المحشر، ما هو؟

بعض العلماء قال: المحشر: هو النشر من القبور.

وبعض العلماء قال: هو المحشر يوم القيامة.

لكن الصحيح قول الجمهور: إنه حشرٌ في الدنيا قبل يوم القيامة.

وهذا الحشر يكون إلى الشام، فيُحشَر الناس إلى الشام. قال هذا الخطّابي ورجّحه كثيرٌ من العلماء.

قال الحافظ ابن حجر: "هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة، تَحشر الناس أحياءً إلى الشام، وأمّا الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة -مِن الركوب على الإبل والتعاقب عليها- وإنما هو على ما ورد في حديث ابن عباس: «حُفاةً عُراةً مُشاةً» وهذا يكون للجميع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُحشرون يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرْلا»، وفي رواية: «مُشاةً».

طيب؛ هنا النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي في الصحيحين قال: «اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير» وهذا بالنسبة لزيادة العدد على خلاف العادة، كون عشرة على بعير، وخمسة على بعير، وستة على بعير.. لأن العلماء قالوا: من اثنين إلى عشرة، فهذا على خلاف العادة.

فبعض أهل العلم قال: المراد أنهم يَتعاقبون؛ فهذا ينزل وهذا يركب.

وبعض أهل العلم قال: المراد أنهم في ذلك الزمان يجعل الله -عز وجل- للبعير قوةَ تحمُّلٍ لهذا الأمر، فيركب العشرة عليه.

والذي يظهر -والله أعلم- أنّ المراد بيان قلَّة ما يُركَب، فإذ ذاك يكون ما يُركَب قليلًا؛ فيركب الاثنان على بعير واحد، والثلاثة على بعير واحد، والعشرة على بعير واحد.

ما ذُكر من أنه هو الحشر الذي في الدنيا وليس حشر يوم القيامة؛ رجّحه بعض أهل العلم بأنّ الصفة المذكورة لا يمكن أن تكون إلا في الدنيا، لأنّ النار تَقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا؛ وهذا لا يكون في الحشر يوم القيامة وإنما يكون في الحشر في الدنيا، وهذا ظاهرٌ جدًّا.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر وغيره أنّ الدليل ثابتٌ في وقوع الحشر في الدنيا إلى جهة الشام، وذكروا حديث معاوية جدّ بهز بن حكيم -رفعه-: «إنكم محشورون -ونحا بيده نحو الشام- رجالاً ورُكبانا وتُجرُّون على وجوهكم»، قال الحافظ: أخرجه الترمذي والنسائي وسنده قوي، قال

وحديث: «ستكون هجرةٌ بعد هجرة وتَنحاز الناس إلى مُهاجِر إبراهيم، ولا يَبقى في الأرض إلا شِرارها» قال: أخرجه أحمد، وسنده لا بأس به.

قلتُ: ويؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ستخرج نارٌ من حضرموت أو من نحو حضرموت قبل يوم القيام؛ تحشر الناس»، قالوا يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام» صححه الألباني.

فهنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول إنّ نارًا ستخرج من حضرموت، وهي مِن اليمن، هذه النار متى ستكون؟ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «قبل يوم القيامة» وهذا نصٌ في المسألة، وأشار -النبي صلى الله عليه وسلم- إلى أنها تحشرهم إلى الشام؛ لأنه قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالشام».

وقال النووي: قوله -صلى الله عليه وسلم-: «يُحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين..» إلى آخر الحديث هذا الحشر في آخر الدنيا قبل القيامة وقبيل النفخ في الصور؛ بدليل قوله -صلى الله عليه وسلم-: «وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل وتصبح وتمسي» وهذا آخر أشراط الساعة كما ذكر مسلم -يعني في هذا الحديث الذي معنا- «وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن».

إذن؛ هذه هي الآيات العشرة في العلامات الكبرى قبل خروج الساعة.